سيكس أبيل

مثل الفتى نجاتى فى حجرة مخدعه ، قبالة صوان الثياب ، بعد أن فتح مصراعه ، يتخير منه حلة تأهباً للرحيل .

وأقبل على المرآة الكبيرة التى تبدت له ، يعقد رباط الرقبة ، ويحكم وثاقه حول عنقه المكتنز ، ولم يكن قد ارتدى سرواله بعد ، وما برحت قدماه العاريتان ، تترنحان فى خف منزلى أدكن قد تأكلت زواياه .

وأطال الفتى من وقفته يتملى رباط الرقبة ويعنى به ، حتى ضبط عقدته ، وأحلها من البنيقة ، وسطها المختار .

ولما فرغ منه ، اجتذب سرواله ، وهم يدخل فيه ، وما إن رفع ساقه يكمل زينته ، حتى جمد يتوسم طيفه ، والدهشة آخذة به ، والتعجب يغشى ناظريه ، كأن لقاء اليوم الذى تم بينه وبين صنوه على صعيد البلور الشفيف ، هو أول عهده به .

عجباً ! أيكون هو هذا الخلق الشائه : أنف أفطس التحم بوجنتيه ، وعينان غائرتان تضايقت حدقتاهما ، وتثلم جفناهما ،

فتناثرت الأهداب فى منابتها ، مصوحة كأنها أعواد الهشيم ، يظلها حاجبان متورمان ، ينفر منهما شعر غزير .

أما الساقان فمنفرجتان فى انبعاج ، انتفش عليهما الشعر كثًّا كثيفاً ، وأما القامة فمتقاصرة فى تكتل ، وقد تدلت منها ، حتى لامست ركبتيه ، ذراعان مغرقتان فى الطول ، أثقلتا كاهليه ، فانعطف رأسه ، وانحنت هامته ، وتأود ظهره ، فكأنما هو القوس ، يسعى بعضه إلى بعض ، من طرفيه .

عجباً ! أيكون هو قرداً آدميًّا ، افظته الأحراج متنكرة له ، فغدا فى خضم الحياة ، طرفة تثير بغرابتها التعجب والفضول ، أم هو فضلة من حطام بشرى ، غفل عنه القدر ، حين كان فى الأحشاء جنيناً يتخلق ؟ فما لوى القدر ظهره ، يتشاغل عنه حتى غشى الأحشاء اضطراب ، وكأن الماء الذى يحتويه ، ويدفع فيه الحياة ، بحر مائج غضوب حفل بالمكاره والأخطار ، وسرعان ما هبت عاصفة نكباء ، تسوى منه فى استخفاف ، ذلك المسخ الآدمى ، آبية أن يرتفع صرح بنائه ، على توافق وتآلف وانسجام .

ولما أقبل القدر ، يتفقده ليعاود رعايته ، كان البناء قد تم تشييداً ، يسود خلقه تنافر وتشاتم وخصام .

وانسرح الفتى يقلب فى المرآة ناظريه ، فى تكره وستنكار ، وعلى محياه مسحة من كآبة وشحوب .

لا مرية عنده أن الذى شاهده هو هفوة من هفوات البصر ، خدعته ، كما يخدع السراب النظر وهو يتألق على بسيط الرمال ، تألقه المواج ، تحسبه العين ، على البعد ، ضوء الماء الألاق ، وقد نالت منه أشعة الشمس ، تلفح صفحته ، فى رحاب الفضاء العسجدى .

أيغدر به هذا الأعجم المارق الغرير ؟

أليس جزاء الغدر إلا الغدر والتنكيل ؟

أحجى به ، أن يجدع أنفه ، ويشج هامته ، ويسمل عينيه ، ليهشمه جملة ، يريح النفس من عناء وجهه الأغبر الكؤود ، ليجعل منه أحدوثة تتنادر بها الأفواه ، وأثراً تعفوه الرياح ، وتنعق فى خرائبه البوم .

وهم نجاتى ، ينفذ ما انتوى ، حين تراقى إلى سمعه صليل الجرس يعوى فى أذنيه عواءه الموصول ، فأرتج عليه ، وحارت به قدماه ، وما برح سرواله متشعثاً على خاصرتيه .

واستبد وجيب الجرس ، وكأنه سوط يلهب أعصابه بفرقعته ، فهرول صوب الباب يزمجر ويجمجم ، تتشاغل يسراه

بنطاقه الجلدى ، يلفه حول كرشه فى تعثر ، على حين تلاعبت يمناه بمزلاج الباب ترفعه ، و وجهه مختنق من غيظ .

وتثاءب الباب .

وبدا له ، من فرجته وجه مطهم مشرب بحمرة ، وقامة فارعة ، يكسوها لحم شحيم ، فتبين على الفور ، صديقه « عبد الباسط » ، زميل الدرس ، ورفيق العمر .

و « عبد الباسط » هذا فتى فى شرخ الشباب ، اتسم بالكياسة والظرف ، ضاحك الأسارير ، لا تفارق البسمة شفتيه ، مشغلته الكبرى فى الدنيا ، وليمة فاخرة تحفل بصحاف الطعام الشهى ، وتفخر بخمر معتقة تتلألأ فى أكوابها الشفافة ، تفغم الأنوف بشذى رحيقها الفواح ، وكأنه عبق الورود النضرات تحملها ، عند الأصيل ، أنفاس النسيم ، إبان الربيع .

ومتعته مجلس أنيس ، يطيب له المقام فيه ، يطارح رفاقه المعابثات والأضاحيك ، ولا يلبث أن يتصدر الجمع ، يؤنسهم بألوان من المفاكهة والمزاح ، لا يمل ولا يكل ، وهو يرددها على مد الساعات ، فى تهلل وتهريج وتصفيق .

وظل الفتى نجاتى ، قابضاً على مصراع الباب ، لا يفسح منه إلا فرجة ضيقة ، يملك بها على صديقه الطريق .

وانحنى « عبد الباسط » يحييه تحية الإصباح الندى ، والابتسامة الخالدة ترف على شفتيه ، فلم يبادله الفتى نجاتى التحية ، وما زال يحدجه ، دون أن ينبس .

وعجب « عبد الباسط » لهذا اللقاء الجاف الذى استقبل به ، واستجمع يدفع الباب بمنكبيه ، فتراحبت فرجته ، تهدى إليه الطريق ، على حين تقهقر نجاتى متعثرة به خطاه ، وقد صك الباب جبهته ، فترنح يرتطم بالجدار ، وتساند على الحائط يحمى نفسه بكلتا يديه ، من سقطة محققة ، فانزلق سرواله متجمعاً على الأرض ، يقيد قدميه .

واقتحم « عبد الباسط » الشقة يزمجر ، محتد النبرة :

حقًّا إنك تفتقر إلى كياسة وأدب . . . أحييك فلا تجيب .

وانكفأ نجاتى يرفع سرواله إلى خصره ، وهو يغلى غليان المرجل ، ومن ثم دلف إلى حجرة مخدعه مغمغماً لا يبين ، وفى أعقابه « عبد الباسط » يضرب الأرض بقدميه ، ويلوح بيده ولسانه كالمذياع الثرثار ، لا ينقطع عن الإنشاد يردد :

حين تقف على السر الذى جشمنى السعى إليك فى مثل هذه الساعة الباكرة ، ستجثو ، حتما ، عند قدمى نادماً تقدم العذر ، وتطلب الصفح .

واستدار الفتى نجاتى يوليه ظهره ، وتشاغل بستترته يرتديها ، وهو يلقى كلامه فى استخفاف :

سرك أعرفه .

وبهت « عبد الباسط » يهمهم :

ماذا تعنى ؟

— إفلاس جيبك هو الذى ساقك إلىّ ولا ريب . . . أوَتحسبنى غبيًّا ، لا أفهمك ؟

وانفجر « عبد الباسط » يغرب فى ضحك ، وأجاب فى غير مهل :

طاش فألك وخاب ظنك . . . من الذى فى حاجة إلى مالك . . . الدنانير ملء جيبى تتجاوز العد ؟

وضرب يده فى جيب سرواله ، يتلاعب بالنقود الفضية ، لرنينها فى محبسها ، صوت مكبوت .

وجابه نجاتى صديقه يقول :

إذن ما الذى دفعك إلى هنا . . . إن لم يكن ضيق ذات اليد؟

وغمز « عبد الباسط » بعينه يستطرد :

آه يا عزيزى الصديق او علمت .

— كفى . . . أنا است فى وضع يسمح لى بالهذر . . .

أمامى يوم حافل طويل . . . أوجز القول . . . ماذا تبغى ؟

ـ عندى لك مفاجأة . . . مفاجأة عظيمة .

وأسكته الفتى نجاتى بإشارة من يده ، وأنشد يقول :

من أين لى بها ؟ . . . أنا لا أتوقع الترقية بعد .

ـ أوَهذه مفاجأة تستحق منى الاهتمام . . . تفهم . . . لا تكن غبيًّا . . . أكرر عليك : إنها لمفاجأة كبيرة . . . عظيمة . . . مفاجأة الموسم ولا ريب . . . أوعيت ؟

وحملق الفتى نجاتى فى صديقه ، وقد اشتد به التطلع . فنطق وشيكاً يقول :

هات حديثك . . . خلصنى . . . إنى مصغ إليك .

واشرأب « عبد الباسط » يطلق قواه فى لهجة ماكرة :

أحقًّا أنت تريد أن تسمع لى ؟

فزمجر الفتى نجاتى فاقد الحلم :

يا لك من مأفون . . . قليل العقل . . . أوَلست أحثك منذ قدمت أن تطلق ما عندك من حديث ؟

ـ مهلا يا صديقى . . . لا تكن عجولا نافد الصبر .

وأخرج من جيبه لفافة تبغ أشعلها على مهل ، وجابهه الفتى نجاتى مجنح الساعدين ، ينظر إليه شزراً ويغمغم :

خلصنى يا أخى . . . لم أعد قادراً على صبر .

واستعلى « عبد الباسط » يقول وهو ينفث دخان افافته :

هامت بك نساء الأرض . . . يا دون جوان العصر . . . إنهن صرعى هواك . . . يتردين فى شباك حبك . . . ويا له من صيد سمين !

فهمهم فى سهوم :

النساء . . . يتردين فى شباك حبى . . . صرعى هواى !

وانقضت فترة صمت ، واستدار نجاتى يقول خشن اللهجة :

النساء ؟ . . . ما لى وما لهن ؟

— بل لك معهن أمر وأى أمر . . . الغانية إنصاف تهواك . . . تحمل لك بين جنبيها هوى مشبوباً .

وهز نجاتى رأسه ، رافعاً حاجبيه ، وطفق يذرع الحجرة جيئة وذهاباً ، حائر الخطو ، وقد أظلت جبينه سحابة من تفكير .

واسترسل « عبد الباسط » يقول فى تباطؤ ، وهو ينسق عباراته :

سمعت منها ما هزنى . . . حقاً إنها هائمة بك . . . فمنذ أن اكتحلت عيناها بصورتك لم تعرف للنوم طعماً ولا للراحة من مذاق . . . إنها تفضل الموت على فقدك . . . فما قيمة الحياة وهى خاوية منك . . . ؟ إنها ، بحسب زعمها ، العواصف

والرعود . . . اليأس والقنوط . . . الجوع والحرمان . . . الجحيم والنار . . . الضياع والفناء . . . أما فى كنفك ، فهى ابتسامة الصباح الندى . . . هى الحدائق الحالية . . . هى المروج المخضوضرة ... هى الأنس ... هى السلام . . . هى الخلود .

وانقطع « عبد الباسط » عن الإنشاد ، وسما بعينيه ، يرقب صديقه ، ويتبين أثر الكلام فيه .

والتفت الفتى نجاتى محملقاً يسائله :

من تكون « إنصاف » هذه . . . ؟ أنا لا أعرفها .

— ومن الذى يجهل « إنصاف » . . . إنك تضحكنى . . . « إنصاف » النجمة اللامعة . . . صاحبة الصيت العريض . . . إنها عميدة الراقصات فى ملهى « الأضواء الحمر » .

وانبرى « عبد الباسط » يطرى لصديقه ، ما طبعت عليه الغانية من وسامة وجمال ، منمقاً فى القول ، مغرقاً فى الوصف .

وأسرع الفتى نجاتى يستخبر :

هل التقيت بها من قبل ؟

— فى الحفل التنكرى الذى شهدته أنت معنا عند صديقنا « عبد الباقى » منذ أسبوعين . . . إنه الحب . . . الحب العنيف المتمكن . . . الحب الذى يصيب الفؤاد من أول نظرة . . .

لقد نفذ السهم المريش إلى قلبها وتمكن منه . . . إن الثقب الذى أحدثه عميق . . . عميق . . . عميق .

وما أتم حديثه ، حتى جلجل جرس الشقة فى رنين أرعن... فتطاول الصديق بهامته يهمس :

أوتكون هى . . . ؟ هاجها الوجد ، فمشت إليك ؟

وتحير الفتى نجاتى ، يدق الأرض كأن عقرباً لبسته ، وقال مبهور الأنفاس ، وهو يلوح لصديقه بظهر يده يحثه :

اذهب . . . اذهب تبين الطارق من يكون !

وزايل الصديق حجرة المخدع ، ودلف إلى الردهة متوخياً باب الشقة الخارجى ، والفتى نجاتى من خلفه ، يتقفى أثره ، يرقب الباب ، لا يهدأ ولا يستقر ، وقد عمد إلى هندامه يصلح ما يكون قد تشعث منه ، وأنحى على شاربه يفتله .

وما إن صر الباب ينفتح ، حتى مرق منه صديقهما «عبد الباقى» صاحب الحفل التنكرى ، يقتحم الشقة كثور هائج ، استحثوه إلى حلبة المصارعة ، فانبعث إلى رحابها من محبسه الدامس يجول فى شرود وجموح ، يعشى النور عينيه ، فيقشعر بدنه ، ويتشمم الريح بخيشومه البليل ، يرتصد لمنازله ، ويمزق الهواء بقرنيه كأنه يشحذ منهما النصل ، ليقويا على الطعان .

وتراءى له «نجاتى» يحتل من الردهة الصدارة ، كأنما هو مصارع الثيران الجسور ، ثبت فى مكانه يلوح لخصيمه بشملته الأرجوانية المقصبة ، فيزيده من هياج وحماس ، وما لبث « عبد الباقى » أن ركض ينقض عليه ، لقدميه على الأرض دبيب مسموع ، وفى نبرته تهلل ، ولسانه يردد :

أين هو... اتركوه لى... اتركوه لى أزف إليه النبأ العظيم !

وسرعان ما هجم عليه ، وأمسك به من كتفيه ، ومثل يتأمله . . . تبرق عيناه بريق الإعجاب والتعظيم ، ومن ثم ضمه إلى صدره ، وأقبل على وجنتيه يزحمهما فى تقبيل ثقيل ، يتغنى بقوله :

أهنيك ... أهنيك ... يا دون جوان العصر ... لقد نلت الدرة الفريدة ... «إنصاف» ... أميرة المسارح ، وملكة الفن .

وانفتل « عبد الباسط » من مكانه خلف مصراع الباب ، يظاهر صديقه ، مؤكداً بالإشارة ما تفوه به ، دون أن يسمع له صوت .

والمعروف عن « عبد الباقى » أنه فتى متزن الطبع ، دمث الخلق ، وفى اصداقته وفاء الظل ، إلا أنه ينفر فى الحين بعد الحين ، من ركود التحفظ ، فيخرج عن تزمته المألوف

يستطيب المداعبة والعبث ، وإن كان هدف الدعابة الأصيل ، خلا من خلانه الأصفياء ، يكن له الإعزاز والإجلال .

وارتعش صوت الفتى نجاتى بقوله :

أأفضت إليك أنت الآخر بسرها المكنون ؟

فسعل « عبد الباقى » يقول :

وما وجه الغرابة فى ذلك . . . ؟ لمن إذن تريد أن تبوح بغرامها ، إن لم يكن لصديق مشترك يمكنه بمسعاه الحميد الجمع بين محبين ، والتوفيق بين قلبين .

وسكت ، يجفف ما تفصد على جبينه من عرق ، ثم تابع :

تود « إنصاف » أن تلقاك الليلة .

وخرج نجاتى عن صمته ، يهمهم فى دهشة :

الليلة . . . الليلة . . . تلقانى أنا . . . تجتمع بى ؟

— إنها على انتظار . . . تتحين الأنباء . . . بماذا تريدنى أن أجيب ؟

وسرعان ما رفع سماعة الهاتف ، وتشاغل بقرصه يديره ، دون أن يفسح لصديقه مجال تفكير وتدبير ، وانبعث من الهاتف صوت منغم يقول :

آلو . . . من ؟

ـ أنا « عبد الباقى » . . . إنصاف ؟ . . . صباح الخير . . . أخبارى ؟ . . . ابن . . . نجاتى ؟ . . . يسعده لقاؤك . . . عليك تحديد المكان والزمان . . . ماذا . . . ؟ أنت تواقة لسماع صوته والتحدث إليه ؟ . . . الآن . . . ؟ تقولين لا صبر لك . . . عظيم . . . أمهلينى حتى أنهى إليه الخبر .

ولوح «عبد الباقى» لصديقه بعينه فلم يظفر منه إلا بإيماءات التمنع والاعتذار ، وقد لاحت على مخايله علامات التهيب والإحجام .

ونحى « عبد الباقى » السماعة جانباً ، وهمس يقول :

لا تكن هكذا فظ القلب ، غليظ الطباع . . . ترأف بها . . . هيا . تحدث إليها .

وأمعن الفتى نجاتى فى تمنعه ، وهو يقرض أظفاره ، متوفز الإحساس ، فما كان من «عبد الباقى» إلا أن أسلم إليه السماعة ، يقول فى خفوت :

خذ . . . الأمر يعنيك وحدك . . . الفرصة فرصتك . . . أنت وشأنك .

وأذعن الفتى نجاتى إلى الأمر ، وجرى عبر الأثير حديث أنيس أنهاه الفتى بتلك العبارات :

أمرك . . . الليلة . . . فى الثامنة . . . بملهى الأضواء الحمر . . . لا . . . لن أتأخر . . . إلى اللقاء .

وأخيراً أهوى الفتى «نجاتى» بالسماعة إلى موضعها فى رفق ، وتقاطرت فى رأسه الأفكار ، فهام فى بيداء الأخيلة والظنون .

أهذر ذلك الذى يعيش فيه أم حقيقة دامغة لا يداخلها شك أو تغرير ؟

وابتسم الأصدقاء الثلاثة يفترقون على لقاء .

وحين وقف « عبد الباقى » يودعه ، انفرد به ، يربت ظهره ، قائلا :

هنيئاً لك صيدك المرىء .

وفى الموعد المتفق عليه ، طرق نجاتى الملهى ، يسعى بين صديقيه ، يحجل فى خطوه كقرد من تلك القردة الدربة ، استقدمه مروضه ، هاهنا ، ليعرض أفانينه المثيرة ، ويشيع بين النظارة الأنس والابتهاج .

واعترضهم مضيف من غلمان الملهى ، فتصدى له « عبد الباقى » يطلب الغانية « إنصاف » عميدة الراقصات ، فهداهم برأسه الطريق ، ثم تنحى عنهم منصرفاً إلى بعض الشئون ، يوليها العناية والاهتمام ، فالملهى لم تنتظم حركته ، ولم

يعمره السمار بعد ، فخلا من رواده إلا بعضاً منهم ، تناثروا فى أرجائه ، على الموائد ، يشربون ويسمرون .

ومضى ثلاثتهم إلى ركن قصى ، فطالعتهم «إنصاف» على حشية وثيرة ، ينفح منها عطر نفاذ ، وتتألق فى ثوب رفيف يلتمع فيه نثار براق ، شق عند النحر ، يكشف عن صدر مرمرى ، يثير فى النفس بنهديه المشرئبين ، كوامن النزعات والأحاسيس .

وزم « عبد الباقى » قدميه ، وانحنى فى إجلال ، يأخذ يدها الخصبة ، يودعها قبلة التحية والاحترام ، وتبعه « عبد الباسط » فلامست شفتاه كفها العبلة ، ثم صلب عوده يقول ، وفى عباراته رنة زهو وانتصار :

لقد أحضرنا الوديعة إنفاذاً للأمر . . . ها هى . . . !

واستدار يسحب الفتى نجاتى ، يقدمه .

ورفعت «إنصاف» حاجبيها ، وسمت إلى «نجاتى» تكسر له عينها ، فى إثارة ودلال ، فطارحها النظر فى خشية وتردد ، وقد تخشب فى وقفة صلبة كأنه دمية من تلك الدمى النحاسية ، يلهو بها فى فراغهم الأطفال .

وشق صوتها الصمت ، يقول :

ألا ترغب فى الجلوس ؟

واستجاب لها يأخذ له مجلساً ، كأنما هو آلة تحرك بلولب ، وتنحنح الصديقان ، يطلبان الإذن فى الانصراف ، فهزت الغانية رأسها علامة الرضى والإقرار ، فصدرا إلى مائدة عن كثب ، يتخذانها مرقبة ، يتابعان منها فى مساترة وتلصص ، فصول «الغرامية» التى تجرى أحداثها منهما ، على بضع خطوات .

وتدانت الغانية من الفتى « نجاتى » تلاطف كتفه مشبوبة الوجدان ، وما لبثت أن طوقته بذراعها ، وأنفاسها تتلاحق على وجنتيه ، تقول :

دعنى أتحسسك . . . أشعر بك . . . أشعر بالنار التى أججت منى المشاعر ، وألهبت فى قلبى ضرام الحب . . . دعنا نحتفل بهذا اللقاء . . . دعنا نشرب نخب حبنا .

وارتدت عنه تصفق .

وأقبل مضيف المشرب .

وتفوهت آمرة :

شامبانيا . . . أفخر ما عندك .

وغرب المضيف يذعن للأمر ، ناشطة خطاه .

وعدلت «أنصاف» بوجهها إلى الفتى «نجاتى» تحدق إليه ؛ ثم هوت على أذنه بفمها ، تماجنه وتناوشه فى غير احتشام ،

فتزيده من هيجة وضرام .

وما كرع الكأس الأولى ، حتى هبط على ذراعها يلتهمه فى تقبيل مسعور ، ويهمهم فى هوس :

أحبك يا « إنصاف » . . . أعبدك يا « إنصاف » . . . أنا خادمك يا « إنصاف » . . . عبد من عبيدك . . . ملك يديك يا « إنصاف » .

وبغتة اضطربت الذراع ، كأنها زازال ، فارتجت أوصاله ، واصطكت أسنانه ، وأحس بدوار يعبث برأسه وتناهى إلى سمعه صوت الغانية ، ينفجر فى زمزمة مخيفة ، يقول :

إن لم تنصرفى من فورك ، حطمت رأسك ، وسويت أنفك بوجنتيك . . . إنه لى . . . لن يمتلكه غيرى . . . لن أفرط فيه لأحد . . . أتعين أيتها القطة المنهومة ؟

وأرتج على الفتى ، وتطلع فى تشوف يتكشف ، فألفى عن كثب منه ، حورية من غوانى الملهى ، صارخة الزينة ، فاحشة الجمال ، ترنو إليه وفى عينيها افتتان وإعجاب .

وتشابكت نظراتهما هنيهة ، ومالت غانية الملهى تقول غمازة بالحاجب :

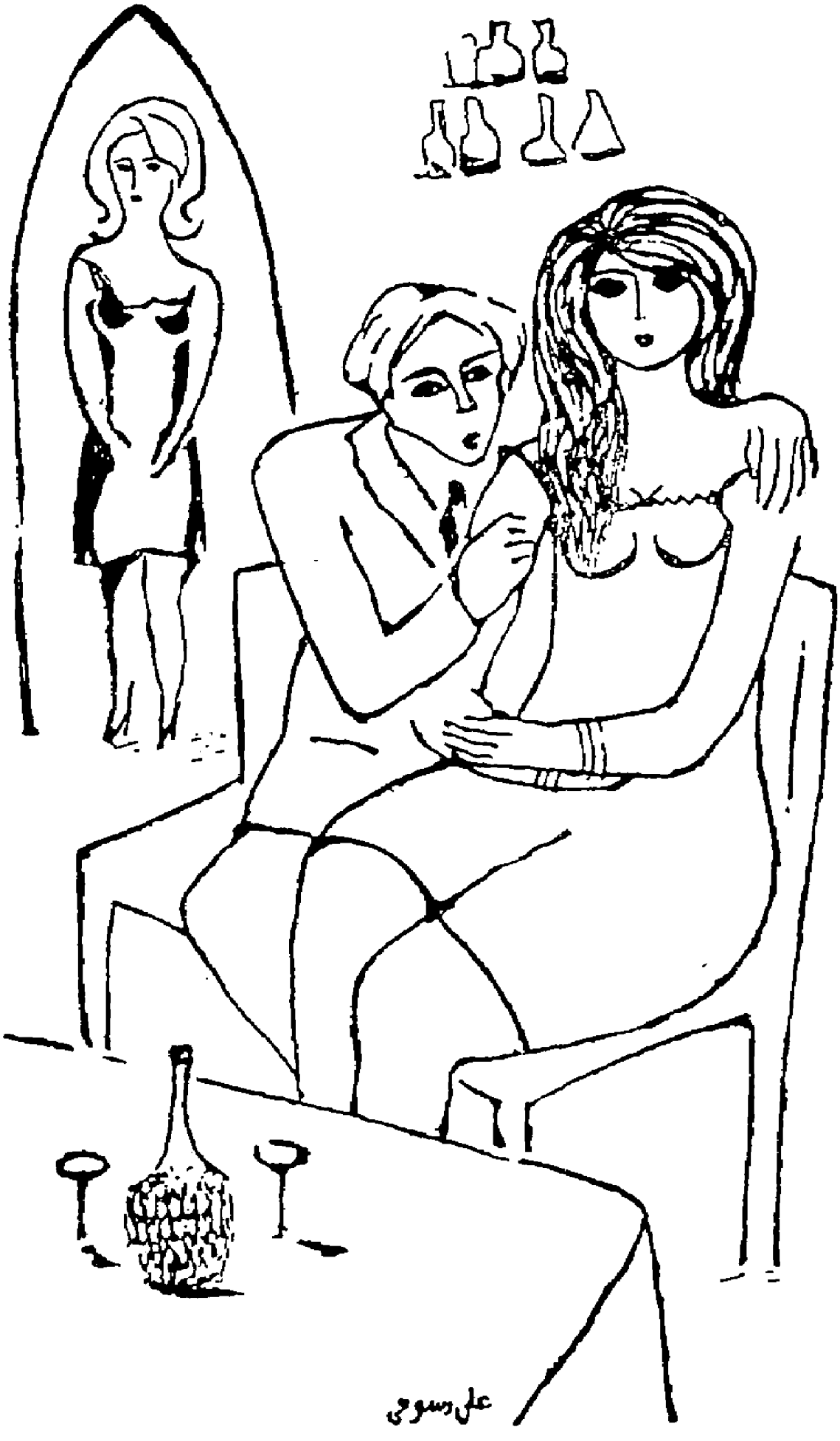

علي رسومي

أنا صفاء .

ونهض الفتى يزجى لها التحية ، فى زحمة من حفاوة وترحاب ، فعلقت به « إنصاف » تلزمه مقعده ، على حين انطلقت بعينيها إلى تلك المجترئة الجسور ، ترميها بنظرة شزراء .

وأطلقت « صفاء » ضحكة عابثة فى غير مبالاة ، ومن ثم أقبلت على الفتى تميس بخصرها ، وتصعد فيه نظراتها تقول وهى تمط الكلمات فى دلال :

زين الشباب ولا شك . . . رجل ولا كل الرجال .

وحدجتها عميدة الراقصات بنظرة جامدة ، تقول فى صوت جهير ، تتجلى فيه الإمرة والسيطرة :

اغربى من هنا أيتها الحدأة الخطافة .

فهمهمت صفاء فى استعلاء وتحد ، وهى تغازل الفتى :

ألست أكمل جمالا من تلك العقاب الهرمة ؟ . . . انظر إلىّ . . . تفرج .

وطفقت تدور ولا تفتأ تدور ، عارضة عليه مفاتن جسدها اللولبى فى خلاعة وابتذال ، ثم عمدت إلى ثوبها ترفع حواشيه ، فتبدى له ساقان مفتولتان فى انسياب ونعومة ، هما فى جوربهما الهفهاف آية جمال وإبداع ، فغزا الفتى نجاتى تلك المناطق

الخطرة ، بعين شرهة ، وحس متلهب ، وقلب هيمان ، ولم يعد قادراً أن يصرف عنها ناظريه .

ورنت من « صفاء » ضحكة مديدة ، فيها طراوة وتميع ، وهمست تقول وهى تبرز مفاتنها فى خيلاء :

كل ذلك ملك لك . . . طوع بنانك . . . أنتظر الإشارة لأقدمه على مذبح الحب هبة خالصة لك .

وانتصبت « إنصاف » تصيح غضوب الصوت ، متنمرة النظرات :

قسماً بالله . . . إن لم تغربى . . . لأخمشن وجهك ... وأشقن رمسك . . .

ولم يفلح مع « صفاء » تهديد أو وعيد ، ولم تظفر « إنصاف » منها بغير الزراية والإهمال ، وأقبلت على الفتى غير هيابة ، تداعب خصلة من الشعر نفرت على جبينه ، وما عتمت أن امتدت إليه تدغدغه وتناغيه مجانبة الحشمة والتحفظ ، فانثنى يتضاحك فى استسلام ومراح .

وسرعان ما نشبت بين الغانيتين معركة حامية الوطيس ، تستهدف الحفاظ على الفتى والاستئثار به ، هذه تجذبه وتلك تلقفه ، وهو بينهما كرة حائرة يتناقلها اللاعبان فى جسارة

وحماس ، دون مسالمة أو فتور .

وبينما الكرة حائرة تضطرب ، بين مد وجزر ، إذا بها تشعر بسواعد حداد تخاطفتها نائية بها عن ساحة المعركة ، وتصيدت أذناه همساً يوسوس له :

يا لك من محظوظ . . . تتقاتل فى سبيل غرامك غوانى الأرض . . . الحمد لله الذى أنجاك من ضرر وشيك .

ودفع الصديقان الفتى «نجاتى» يحثان الخطو ، فتقدمهما يغزو الطريق ، على حين أخرج « عبد الباقى » ورقة رفيعة القدر ، وطفق يلوح بها للغانيتين فى مساترة واستخفاء ، ويغمز لهما غمزات الإطراء والاستحسان .

وتعانقت الغانيتان ، يسودهما وئام وسلام .

وما إن احتوى الطريق الأصدقاء الثلاثة ، حتى نشط الفتى « نجاتى » يقول فى زهو وخيلاء :

لقد أشفقت على الفتاتين . . . ولكن ماذا أصنع لهما وهما يتنازعانى ويتقاتلان فى سبيل الظفر بى ؟

وسنح على فم الصديقين ابتسام مريب وهما يسألانه ما سر التنازع فيه :

بالله أخبرنا . . . لا مرية أنك تنطوى على طلاسم تجعل منك آية من آيات الفتنة والإغراء ؟

فاشرأب الفتى ، يكسب قسماته إمارات التيه والفخار، ويقول :

ـ إنه السيكس أبيل ... ألا تفطنان ؟ . . .

وأخذ يضرب كفًّا بكف ، وهو يردد فى تعجب :

يا للغفلة . . ويا للغباء !

فشهق الصديقان يقولان :

وما هو السيكس أبيل هذا الذى تتشدق به ؟ . . . بالله عليك زدنا معرفة أيها الدون جوان النحرير .

ـ إنها بتعبير آخر..الجاذبية .. أسمعتما مثلا بجاذبية الأرض؟

ـ سمعنا . . ولكن يعوزنا الشرح والفهم .

ـ الجاذبية . . . هى . . . هى المغناطيس القوى . . يشد الكائنات إليه فى عنف فلا تملك إلا الانجذاب والانقياد . . . وإذن ، يا صديقىّ ، فأنا مثل الأرض أحتوى على ما لها من جاذبية فعالة ومغناطيس قوى . . وما النساء إلا الأجرام المتصاغرة التى تدور فى فلكى ، وتتهاوى صرعى بين يدى .

وتلاقت نظرات الصديقين ، على حين التفت الفتى «نجاتى» إلى الطريق يخطر عليه فى تيه ، وقد تملكته نشوة العزة والنصر ، وكأن الطريق الدامس الذى يمشى عليه انفرج عن إشراق ، يبدد وحشة الظلام ، فتبدى وكأنه يختنق بنساء الأرض قاطبة ،

خرجن فى موكب حافل مهيب ، يحدقن به ، ويخطبن وده ، ويلتمسن رضاه ، رافعات الأكف فى ضراعة واسترحام .

وتقاصرت من الفتى خطاه ، وأخذ ينقل قدميه على محاذرة واحتراس ، يظن من يراه أنه يشق سبيله مجهداً ، يعانى من زحمة قاتلة ، تخنق بحرها الأنفاس .

وما إن احتوته حجرة مخدعه ، حتى مثل قبالة صوان الثياب ، بعد أن فتح مصراعه ، يفرج عن مرآته الحبيسة . ولما ظهرت له ، قاربها جياش الأحاسيس يقص عليها ما كان من مغامرة الليل ، فاشتبك والبلور فى مناجاة أنيسة ، غمرها ود وصفاء ، وإذا هو يتوسم صنوه وكأنه يتابع وجه الربيع فى موكب الأزاهير .

وأوغل النظر يغازل طيفه ، لا يقوى على فراق ، فإذا المرآة تتحفه بمزيد من طلاقة وإشراق .

وطالت بالفتى وقفته ، حتى شعر بالنعاس يرنق فى عينيه ، والخدر يسرى فى أوصاله ، فمال على سريره ، يحتويه سبات عميق ، ترفرف على أساريره . . . أسارير القرد الآدمى مباهج الأحلام ، وكان صوته ، فى الحين بعد الحين ، ينطلق غليظاً ناعساً ، يخلط بقوله :

يا نساء الأرض . . . صبراً . . . مهلا . . . ستنال كل منكن لمسة من يدى . . . وخلجة من فؤادى . . . وقبلة من فمى . . . أنا لكن . . . لن أبخل بنفسى عليكن !